من المصطلحات الأمازيغية الواردة في كتب المناقب الموحدية

الباحث د. العوني عبد الكريم
دكتوراه في التراث اللغوي
الأكاديمية الجهوية لمهن التربية والتكوين لجهة الشرق
كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الأول وجدة
المغرب

مقدّمة:

مصطلحات ومفاهيم كثيرة في مظان المصادر المنقبية، سنقتصر على جرد بعض المصطلحات الأمازيغية المستعملة إبان عصر الدولة الموحديّة من خلال كتب المناقب[1]، ولا ندّعي أنّنا سنقوم بجمع كلّ الألفاظ والمفاهيم المستعملة باللّسان الأمازيغي، وذلك راجع أولاً إلى كثرة المصطلحات، والمفاهيم المذكورة في المصادر، ثم إنّ البعض من هذه المفاهيم والمصطلحات قد تمّ تناولها في أبحاث ومقالات كثيرة لا داعي لتكرارها من جديد، حيث قامت بجرد المصطلحات وأسماء الأمكنة، والأعلام الأمازيغية من لدن الباحثين والمهتمين بالشأن اللغوي الأمازيغي خلال العصر الوسيط[2].

سنحاول تصنيف الألفاظ والعبارات الأمازيغية وفق جدول، لغرض إثبات وجود مفاهيم أمازيغية مثبتة في ثنايا المصادر الوسيطية، والّتي لا شكّ أنّها تدلّ على الاهتمام باللّسان الأمازيغي إلى جانب اللّسان العربي، لهذا، فالضرورة تستدعي منّا شرح معناها باللّغة العربية، وذلك لتقريب صورتها للقارئ لإزالة اللّبس، والغموض الّذي يكتنف المفهوم الأمازيغي، عدا استثناءات كما أقرّ الدارسون ومنهم محمدّ المواك الّذي خلص إلى تواجد بعض الأسماء وخاصة الطوبونيميا[3] (la toponymie) يصعب معرفة دلالتها[4].

أوّلا: أنموذجات محدّدة:

التركيب	مصدره	المصطلح الأمازيغي	معناه بالعربية
_تاهورت، من بلد أيلان قرب الزوال.	_أبو يعقوب يوسف بن يحي التادلي المعروف بابن الزيات (ت:617هـ): التشوف إلى رجال التصوف. تحقيق: أحمد التوفيق، ط:2/1997م، ص:301.	_تاهورت	_قرية منسوبة إلى هوارة، وكان منهم سكان أغمات، وتعرف اليوم باسم مسفيوة بتَاوَرْتْ.
_أن أبا إبراهيم صلى الجمعة بقرية أجوز من بلد رجراجة.	_المصدر نفسه، ص:355.	_أجوز	_مرسى عند مصب نهر تانسيفت، وكان بها رباط.
_ومنهم أبو تونارت	_نفسه، ص:164.	_تونارت	_الدليل والضياء.
_من أهل رباط تاسماطت	_نفسه، الصفحة نفسها.	_تاسماطت أو تاسماط	_ من حصى الزلط الّذي نشر في الأودية عند خروجها من الجبال وقلة انحدارها.

_ومنهم أبو محمد عبد الجليل بن وايحلان	_نفسه، ص:146.	_وايحلان أو وايجلان	_الإنسان الجميل.
_رجل صالح كان بتماروت	_نفسه، ص:129.	_تماروت	_إسم مكان شائع، ومعناه بداية العقبة.
_من أهل ثالغت	_نفسه، ص:86.	_تالغت أو تالخت	_الوحل أو الطين الأحمر الذي تصنع منه الأواني الفخارية.
_ومنهم أبو سعيد عثمان بن منغفاد	_نفسه، ص:440.	_ منغفاد	_مركب من منغ: قاتل، وفاد: العطش.
_ومنهم الشيخ أبو يعزى	_أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم التميمي الفاسي (ت:603هـ أو 604هـ): المستفاد في مناقب العباد. تحقيق: محمد الشريف، القسم الثاني 2002م، ص:28.	_يعزى أو إعزا	_الشخص العزيز أو المحبوب.
_اسمه يلنور	_المرجع نفسه، الصفحة نفسها.	_يلنور	_مركب من إيلا والنور، ومعناه ذو النور أو ذو الحظ.
_وسكناه بإيروجان	_نفسه، ص:29.	_إيروجان	_النجار بصيغة الجمع.
_على رأسه شاشية	_نفسه، ص:33.	_الشاشية	_قلنسوة توضع على رأس الإنسان لحمايته من البرد الشديد.
_من تليس	_نفسه، الصفحة نفسها.	_تليس	_قطعة كبيرة من نسيج خشن من صوف أو من شعر الماعز، يستعمل بساطا أو غطاء أو لباسا، ويستعمل كذلك لحمل المزروعات.
_فصنعت لهم تريد بازن	_نفسه، ص:53.	_بازن أو بزين	_طعام أو كسكس بدون لحم، فهو إما خبز مفتت، وإما مفروك بالأصابع، وإما عصيدة من طحين وسمن وسكر.
_ومنهم منغفاد	_نفسه، ص:70.	_منغفاد	_مركب من منغ: قاتل، وفاد: العطش.

_باللسان الغربي إيمكر[5]	_أبو العباس العزفي (ت:633هـ): دعامة اليقين في زعامة المتقين. تحقيق: أحمد التوفيق، ص:38.		قد تكون تحريفا فقط، والصواب بالنون (إيمكن).
_ويقول باللّسان الغربي وريفو	_المرجع نفسه، الصفحة نفسها.	_وريفو	_لم يصبح بعد
_يا ددا	_نفسه، ص:39.	_ددا	_أبي أو مولاي أو سيدي في لسان أهل جبال فازار وتادلا وما وراءها، وجدي بلسان أهل الشرق.
_يموث أغيول إينو	_نفسه، الصفحة نفسها.	_أغيول إينو	_حماري (مات حماري).
_فقال وريموت	_نفسه، الصفحة نفسها.	_وريموت	_ لم يَمُتْ
_فيقول للمجنون أزر	_نفسه، الصفحة نفسها.	_أزر	_أُنْظُرْ
_فأقبل على الديك مانيلا انكركس	_نفسه، ص:58.	_مانيلا انكركس	_المكذبون
_قولو لإيزم أسكان	_نفسه، ص:56.	_إيزم أسكان	_الأسد الأسود
_ثم قال للجن أفغ	_نفسه، ص:45.	_أفغ	_أُخْرُجْ
_قال لي يموث أمغار	_نفسه، الصفحة نفسها.	_أمغار	_الشيخ، ويلاحظ أن أمغار، التي تعني لغة الكبير، كانت تستعمل للشيخ مطلقا.
_فيقول للمجنون أزر	دعامة اليقين وزعامة المتقين، ص 39	_أزر	لم يتغير دلالة المفهوم كثيرا، مازال محتفظا في مجتمع المغرب الأقصى بمعناه القديم، الّتي تعني " انظر" فنقول مثلا في أمازيغية الجهة الشرقية " أَزْرْ" دلالة على تمعن النظر في شيء يثير الإعجاب والدّهشة.

ثانيا: التعليق على المصطلحات والمفاهيم.

يوضّح الجدول أعلاه، مكانة اللّسان الأمازيغيّ، ومسألة تداوله في المصادر الموحّدية الوسيطية، كما شكّل – بالرغم من اختلاف بعض المفاهيم من حيث الدّلالة وكيفيّة النطق–مظهرا قويّا استُعمل في كافّة مناحي الحياة الاجتماعية والسياسية خلال حكم الدولة الموحّدية.

علاوة على ذلك، فإنّ حضور اللّسان الأمازيغي، وخاصة في كتب المناقب، ترك بصمةً على جهاز الدولة الموحدية وإدراتها، ستبقى حية إلى الأبد في ميدان التأليف، وخير دليل على ذلك مجموعة من الألفاظ والمصطلحات وأسماء الأعلام والأماكن التي وظفت في المصادر التاريخية،

كما يشكّل حضور اللّسان الأمازيغي مظهرا من مظاهر الاهتمام باللّغة الأمازيغية، وصورة قائمة بذاتها في المجتمع، مهما بذلت الدول المتعاقبة على المغرب قصارى جهدها في نشر اللّغة العربية، فإنها لم تستطع تعريب الحياة الاجتماعية.

ولهذا، فإنّ اللّسان الأمازيغيّ إبان القرون السالفة، وخلال العهد الموحديّ على وجه الخصوص، فرض ذاته، وشكّل إلى جانب اللّسان العربيّ، حلقة من حلقات التواصل بين الأفراد داخل المجتمع، وفي الكتابات المصدرية على اختلاف تخصصاتها، الشيء الّذي يبيّن بوضوح، أن اللّغة الأمازيغيّة بقيت حيّة إبان العهد الموحدي على المستويين الكتابي والتداول اليومي كما هو مبيّن في الجدول أعلاه.

إنّ اللّغة الأمازيغية كانت من أبرز اهتمامات السلطة الموحدّية، ولم ينقطع هذا الاهتمام مع وفاة المهدي بن تومرت، بل حثّ خليفته الأوّل عبد المؤمن الموحدي الطّلْبة، والقرّاء على استعمال اللّغة الأمازيغية وسيلةً للتواصل والتبليغ، لنشر عقيدة الدولة الموحدية، وإفهام عامة الناس، وهناك مسألة لا تقلّ أهمية عن وظيفة الكتابة الأمازيغية واستعمال اللّسان الأمازيغي، تتجلّى أساسا في كيفية اندماج الأمازيغ في الثّقافة العربيّة، وحافظوا على مكانة العربية في مجتمعاتهم[6]، بوصفها لغة الشعائر الدّينية، واللغة العالمة في التأليف والتدوين، والشؤون الرسمية، لذا، كان لا بدّ من الانفتاح والتعلّق باللّغة العربيّة، لفهم حضارة العرب وتراثهم المتنوّع. كما كانوا لا يرون مانعا للأخذ بلغتهم–اللّسان الأمازيغي– لفهم قواعد الدّين الإسلامي وأصوله، حتى حصل الاندماج مع الثقافة العربية برعاية السلطة والعلماء[7]. واندماجهم في الثقافة العربية، هو اندماج في الحضارة الإسلامية لخدمة الدّين الإسلامي، وخدمة اللغة العربية نحويا، وفقهيا، وأدبيّا، وأقبلوا على الثّقافة العربية، وتشبثوا بها، وكان نحاةُ المغرب الوسيط ذوو الأصول الأمازيغية، أمثال الجزولي (ت: 607هـ) وابن آجروم (ت: 723هـ) خيرَ دليل على ذلك. وبناء على ما سبق ذكره يمكن استخلاص النتائج الآتية:

1_اللّغة الأمازيغيّة لغة قائمة بذاتها، فرضت نفسها وكيّانها في المجتمع المغربي الوسيط كتابة وتأليفا وتواصلا.

2_إستعمال اللغة الأمازيغية إبان العهد الموحدي في مجال التأليف بأبجدية عربية من أجل إفهام عامة الناس.

3_إنخراط الأمازيغ في الثقافة العربية خدمة للدين الجديد واللغة العربية، وإسهام مجموعة من العوامل في ذلك، تحكمت فيها إرادة الخلفاء والعلماء والصلات الثقافية ومد الجسور بالمغرب الأقصى وببقية الأقطار المجاورة.

4–إن الألفاظ والعبارات الأمازيغية وردت في مصادر متنوّعة منها كتب التاريخ العام، وكتب المناقب، وكتب الأدب لاسيما المتأخّرة عن العصر الموحّدي.

5–مثّلت اللّغة الأمازيغية أنموذجا حيّا في المصادر الوسيطية، لا أحد يستطيع إنكار مكانتها وأهميتها في التراث المغربي خلال العصر الموحّدي، وشكّلت حلقة من حلقات التواصل في المدن والأرياف، وبين العامة والخاصة.

الهوامش:

[1] هي مصادر وسيطية تروّج للفضائل والأخلاق والكرامات النبيلة لشخص أو مجموعة معيّنة من الأشخاص الدينيين المتصوّفين، وهي كتب كتبت بلغة قريبة من اللّغة السائدة في المجتمع، ووظّفت في ثناياها اللّغة الأمازيغية واللّسان الدارج المغربي آنذاك.

ويراد بها حسب أيوب بن حود وبلقاسم مالكية ما يأتي:

–المعنى العام: الّذي يشمل كلّ المؤلّفات الّتي اعتنى واضعوها بإبراز الفضائل، والمآثر، والمحاسن، بوجه عام دون التركيز على مجالات بعينها أو موضوع بعينه.

–المعنى الخاص: الّذي يختص بالمؤلّفات الّتي اهتم أصحابها بنوع خاص من الشّخصيات الدّينية، هي شخصيات الأولياء، من المتصوّفة ويلتقي هذان المعنيان – العام والخاص– رغم اختلافهما حول قاسم مشترك وهو إبراز الفضائل، والمفاخر والمحاسن بهدف التمجيد. للمزيد من المعلومات يرجى الرجوع إلى:

أيوب بن حود وبلقاسم مالكية، أدب المناقب: المفهوم والجذور، مجلة مقاليد– الجزائر– العدد 10، جوان 2016م، ص 68.

[2] يرجى النظر في هذا إلى: ميلود التوري، الحركة اللغوية بالمغرب الأقصى قام بجمع الألفاظ الأمازيغية الواردة في كتاب البيذق ص: 181-182. تناول بالدرس والتحليل الوافي نوحي في مقاله المنشور بمجلة آسيناك العدد 16، صورة الأمازيغية في مؤلفات النخبة، وتطرق إلى بعض الألفاظ الأمازيغية الواردة في كتب التاريخ العام والمصادر الجغرافية كالشريف الأدريسي المتوفى نحو 560هـ، ص 46-51. كما أعدت في هذا الصدد رسالة لنيل شهادة الماستر للطالب محمد علسي، اللغة البربرية في تاريخ المغرب الوسيط من الفتح الإسلامي الى نهاية العصر الموحدي. رسالة لنيل شهادة الماستر 2018 بجامعة ابن طفيل القنيطرة تخصص تاريخ وحضارة ص 64، وكذلك أطروحة بعنوان البنية اللّغوية ومسألة التعريب بمجتمع المغرب الأقصى خلال العصر الوسيط، علسي محمد، بنفس الجامعة، إشراف الأستاذين محمد الغرايب، ملود عشاق، موسم 2022-2023، ص 191.

- Georges Marcais, Les phrases bérbéres des documents inédits (hespéris),1932,p 61-77.

[3] من مسمّيات الطوبونيميا علم الأماكن، وعلم المواقعية وعلم الأماكينية والبلدانية، ومن أهمّ تعاريفه أنه ذلك العلم الذي يهتم بدراسة أسماء الأماكن، مع تحديد معانيها لغوّيا وتاريخيا، لتحديد التحوّلات اللّغوية في منطقة معيّنة، ومعرفة اللّغة المستعملة في المجتمع، وتسميات الأماكن قد تكون عفويا، دون معرفة دلالة الاسم سيميائيا. للمزيد من التوضيحات حول دلالة الطوبونيميا يرجى الرجوع إلى:

- علي صدقي أزايكو، نماذج من أسماء الأعلام الجغرافية والبشرية المغربية، سلسلة الدراسات والأطروحات رقم 1، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مركز الدراسات التاريخية والبيئية، مطبعة المعارف الجديدة- الرباط- 2004م.
- Albert Dauzat, les noms de lieux, origine et evolution, villes et villages, pays, cours d'eau, montagnes, dits, librairie delagrave-Paris- 1963, p 35

[4] Mohammed Meouak, La langue bérbére au maghreb médiéval, p 112.

[5] اللسان الغربي: هو اللسان الأمازيغي، وقد أشرنا إلى ذلك أثناء حديثنا عن تسمياته المختلفة.

[6] إلياس بلكا _محمد حراز، إشكالية الهوية والتعدد اللغوي في المغرب العربي: المغرب نموذجا، ص 98.

[7] رحمة تويراس، تعريب الدولة والمجتمع بالمغرب الأقصى خلال العصر الموحّدي، ص 163.